تمثلات المجتمع في السرد النسوي والذكوري للقصة القصيرة
قراءة سوسيولوجية في نماذج معاصرة

Representations of Society in Feminine and Male Narratives of the Short Story
A Sociological Reading of Contemporary Models

10.35781/1637-000-129-006

د. أسماء إبراهيم شنقار*

*أستاذ النقد والأدب المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الشرقية (عُمان) وكلية التربية جامعة دمنهور (مصر)

الملخص:

يناقش هذا البحث العلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع من خلال دراسة تطبيقية في القصة القصيرة والقصيرة جداً لكُتّاب وكاتبات من محافظة البحيرة بمصر. ينطلق من فرضية أنّ القصة القصيرة تُعد مرآةً للتحولات الاجتماعية والنفسية والسياسية، وأداة نقدية تكشف البنى الذهنية والثقافية. يركّز البحث على تمثلات المجتمع في السرد الذكوري والنسوي، ويحلل الفروقات في تمثيل القضايا الاجتماعية بين الجنسين من خلال عدد من المجموعات القصصية. وقد استعان البحث بالمنهج السوسيولوجي إطاراً عاماً، مع توظيف أدوات تحليل الخطاب والسيميائيات للكشف عن الرموز والدلالات في البنية السردية.

وقد جاءت النتائج لتؤكد أن القصص القصيرة المدروسة تمثل انعكاساً واضحاً للواقع الاجتماعي، وقد رصدت أبرز أزمات المجتمع المصري المعاصر، كالقلق والاغتراب والنفاق واختلال القيم وغياب الحريات والتمييز الجندري إلى جانب الصراع الطبقي. كما أظهرت النتائج أن السرد النسوي يركز على قضايا المرأة في تفاعلها مع المجتمع. وقد وظفت تلك النماذج الرمزية والمفارقة والإيحاء للتعبير عن هذه الأزمات، وكل ذلك يجعل القصة القصيرة أداة فنية هامة لرصد تحولات المجتمع ومشكلاته ومعالجتها.

الكلمات المفتاحية:

تمثلات المجتمع-النقد السوسيولوجي-السرد النسوي-السرد الذكوري

ISSN : 2410-1818

Representations of Society in Feminine and Male Narratives of the Short Story
A Sociological Reading of Contemporary Models

Dr. Asmaa Ibrahim Shinkar*

*Assistant Professor of Criticism and Literature, College of Arts and Humanities, Al Sharqiyah University (Oman) and College of Education, Damanhour University (Egypt)

Abstract

This research discusses the dialectical relationship between literature and society through an applied study of short and very short stories by male and female writers from Beheira Governorate, Egypt. It is based on the premise that the short story is a reflection of social, psychological, and political transformations and a critical tool that reveals mental and cultural structures. The research focuses on representations of society in male and female narratives, and analyzes the differences in the representation of social issues between the sexes through several short story collections. The research uses the sociological approach as a general framework, employing the tools of discourse analysis and semiotics to uncover symbols and connotations in the narrative structure. The results confirm that the short stories studied represent a clear reflection of social reality and monitor the most prominent crises of contemporary Egyptian society, such as anxiety, alienation, hypocrisy, imbalanced values, lack of freedom, gender discrimination, and class conflict. The results also showed that feminist narratives focus on women's issues in their interaction with society. These models employ symbolism, paradox, and suggestion to express these crises, all of which makes the short story an important artistic tool for monitoring and addressing societal transformations and problems.

Key words:

Social representations-feminist narrative- Male narrative-sociological criticism.

ISSN : 2410-1818

مُقدمة البحث

إنّ العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة عضوية لا يمكن فصل أحد طرفيها عن الآخر؛ فالأدب وُلد من رحم المجتمع، ونشأ ليعبّر عن الإنسان في بيئته وتاريخه وتحولاته النفسية والاجتماعية والسياسية. ومن هنا، فإنّ السؤال عن مدى تأثير الأدب في المجتمع، ومدى تمثيله لقضاياه، هو سؤال دائم الحضور في النقد الأدبي المعاصر، وخصوصًا مع التحولات المتسارعة التي شهدها العالم العربي في العقود الأخيرة.

وقد شكّل فن القصة، وخاصة القصة القصيرة والقصيرة جدًا، أحد أبرز الأجناس الأدبية التي استطاعت أن تلتقط نبض الواقع الاجتماعي وتعيد تشكيله عبر أدوات فنية تقوم على الإيجاز والتكثيف والمفارقة والترميز، مما منحها قدرة خاصة على تمثيل الأزمات والتحولات المجتمعية بشكل حاد ومكثف.

ويتناول هذا البحث جدلية الأدب والمجتمع في القصة القصيرة، من خلال قراءة تطبيقية في عدد من المجموعات القصصية لكتّاب وكاتبات من محافظة البحيرة بمصر، بهدف تتبع كيفية انعكاس التغيرات الاجتماعية والنفسية والسياسية على البنية السردية، حيث سجلوا بالتكثيف والرمز والمفارقة أبرز أزماته النفسية والسياسية والطبقية، مما يؤكد لنا أن الأدب لا يعكس الواقع بطريقة آلية أو سطحية، بل يعيد إنتاجه فنيًا ومعرفيًا، ما يجعله مصدرًا غنيًا لفهم البنية الاجتماعية.

كما حاول البحث الكشف عن الفرق بين سرد الرجل وسرد المرأة وتمثيل كل منهما لقضايا المجتمع، والكشف عن أوجه الاختلاف ومواضع التلاق بينهما باعتبارهما يمثلان معًا المجتمع، وهمومهما واحدة.

ينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها أن القصة القصيرة تُمثل مرآة صادقة للتحولات النسقية في المجتمع، كما أنها أداة نقدية قادرة على مساءلة البنى الاجتماعية والذهنية السائدة، بما تحمله من رؤية للعالم ومن وعي نقدي بالتفاصيل والظواهر.

وقد حددت حدود البحث المكانية بمحافظة البحيرة في مصر، لذا فكل المجموعات القصصية تنتمي إلى أبناء هذه المحافظة؛ حيث تجمعهم ظروف واحدة وقضايا مشتركة فتصح معها المقارنة، وقد تنوعت قصصهم بين القصيرة والقصيرة جدًا والومضة القصصية.

ISSN : 2410-1818

واعتمدت في هذا البحث على المنهج السوسيولوجي بوصفه الإطار العام، كما استعنت ووظفت بعض أدوات تحليل الخطاب والتحليل السيميائي كمناهج داخلية تكشف عن البنية الدلالية والعلاقات بين الدال والمدلول ورمزية الأشياء.

ولقد قسمت البحث إلى ثلاث مباحث رئيسة:

المبحث الأول معنون بـ(الأدب وعلاقته بالمجتمع) وفيه أطرح إطارًا نظريًا للعلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع.

المبحث الثاني: تمثلات قضايا المجتمع في الأدب الذكوري:

وأدرس فيه مجموعتين قصصيتين وهما: (نزف منفرد) لعلاء صديق، و(شموس لا تعرف المغيب) لأحمد حلمي الزرد.

المبحث الثالث: تمثلات قضايا المجتمع في الأدب النسوي:

وأدرس فيه ثلاث مجموعات قصصية وهي: فواصل زجاجية للكاتبة نوال شلباية، نصف عين نصف ساق للكاتبة علياء البنهاوي، براكين هادئة للكاتبة شيماء تاج الدين.

وأنهيت البحث بخاتمة عرضت فيها لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

(1) الأدب وعلاقته بالمجتمع /الأدب والمجتمع:

هل للأدب علاقة بالمجتمع؟ هل ينبغي أن يعبر الأدب عن قضايا المجتمع وعن شخصياته ومتغيراته؟ وإن لم يعبر عنه فمما يستقى مادته إذن، وما أهميته؟

ما علاقة العلوم الاجتماعية بالأدب؛ هل تعود مادة الأدب على هذه العلوم بالفائدة؟

أي فنون الأدب أكثر تعبيرًا عن المجتمع وقضاياه وشخوصه الشعر أم النثر؟

هل للقصة القصيرة خصوصية في التعبير عن المجتمع ومناقشة قضاياه؟

ما هو دور القاص تجاه المجتمع؟ هل يلعب دور المؤرخ المجتمعي أم الناقد المجتمعي أم كليهما معا؟ وهل يختلف دور (الكاتب /الرجل) عن دور (الكاتبة/المرأة)، بمعنى آخر هل يختلف الدور باختلاف جنس الكاتب؟

ISSN : 2410-1818

كلها تساؤلات تدور في أذهاننا ونحن بصدد الحديث عن هذا الموضوع، عن علاقة الأدب بالمجتمع وقضاياه وخصوصًا عن دور القصة القصيرة وعلاقتها بالمجتمع وسياقاته المختلفة.

وهذه التساؤلات ليست حديثة، فهي متجددة ومتكررة بدأت مع اللبنة الأولى للأدب، فالأدب جاء في الأساس كحاجة مجتمعية مرتبطة بوجود الإنسان؛ لذا لا نستطيع أبدًا فصل الطرفين عن بعض، فوجود المجتمع (بمكوناته وأنساقه) يعنى وجود الأدب؛ فالأدب هو تعبير عن مشاعر الإنسان وأفكاره ورغباته ومشكلاته، والمجتمع هو (الإنسان)، فاجتماع البشر مع بعضهم في بيئة معينة يحكمها قوانين محددة ويحدث بينهم تفاعلات مختلفة ينتج عنها الأفكار والمشاعر والأنظمة والمشكلات.

والأديب مكون أساسي من مكونات المجتمع، وبالتالي هو يعبِّر بالضرورة عن مجتمعه حتى ولو كان هذا من خلال ذاته. ولكن يكمن الاختلاف في نسبة التعبير عن هذا المجتمع أو عن مشاعره الخاصة، وهذا ما لاحظناه في المذاهب الأدبية المختلفة بدءا من الكلاسيكية والرومانتيكية والبرناسية والرمزية والتعبيرية والوجودية والواقعية.

فكل هذه المذاهب والاتجاهات نشأت من رحم المجتمع نتيجة سيطرة ظروف ما على المجتمع، وكل اتجاه أو مذهب كان له رؤية خاصة به تجاه مجتمعه، فقد يعبر عن طبقة معينة (أرستقراطية)مثلا كالأدب الكلاسيكي ويهتم فقط بالقضايا الخلقية، بعيدًا عن مشكلات الطبقات العاملة والطبقات البرجوازية من المجتمع.

وقد يدعو إلى أن يعبر الأدب عن الجوانب الجمالية فحسب واستقلال الأدب عن كل غاية اجتماعية أو خلقية مثل البرناسيين أو أصحاب مذهب (الفن للفن)، ويتمثل مذهبهم بوضوح في محاضرات فكتور كوزان التي ألقاها في السوربون عام (1818م) والتي يقول فيها:" الشريعة لأمور الدين، والخلق للخلق، والفن للفن، ولا يمكن أن يكون الفن طريقًا للنافع ولا للخير ولا للأمور القدسية؛ لأن الفن لا يقود إلا إلى ذات نفسه". [1]

بينما نجد الواقعيين وغيرهم تحدثوا عن التزام الأديب بقضايا مجتمعه؛ فجعلوها مرتكزًا أساسيًا يدور حوله الأدب والأدباء.

وبغض النظر عن اختلاف الرؤى النظرية إلا أن الواقع الفعلي هو أن الأدب يعبر عن المجتمع وعن الإنسان الذي يعيش فيه بكل مكوناته النفسية والفكرية ولكن الفارق في النسبة والمقدار.

[1] – انظر: د/محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن: نهضة مصر :صـ306

ISSN : 2410-1818

يقول جيمس جويس: "في الرد على الزعم بأن فن الأدب لا صلة له بواقع الحياة، أقول:- أحسبه متصلا بالحياة اتصالًا لا فكاك منه، ربما بدرجة تفوق أي ضرب آخر من ضروب الخطاب، فالواقع أن الفن هو الذى يصنع الحياة، وهو ما يضفى على الحياة أهميتها، وأنا شخصيًا لا أعرف بديلا - مهما كانت أهميته - على قوة الفن وجمال تكوينه ومدى تأثيره "[2]

ويعبر الناقد الأمريكي " هاري ليفن " عن هذه العلاقة قائلًا: "العلاقات متبادلة بين الأدب والمجتمع، وليس الأدب نتيجة أسباب اجتماعية فحسب، بل هو كذلك سبب في آثار اجتماعية"[3]

كما يقول موريس نادوا: "الفنان الكامل هو الإنسان الذى يمكنه أن يعبر عن العالم وعن نفسه، فى وقت واحد من خلال إنتاج أدبى محدد بفترة تاريخية، على أن هذا الإنتاج مع ذلك خالد، وجدير بدوره بإيقاظ أصداء، وأهل على الأخص لإثارة انفعالات وأفكار وإمكانيات جديدة"[4]

كما يقول برتولد برشيت: "أحسب أن الأحداث الكبرى التي تدور في العالم معقدة كل التعقيد ولا يمكن أن نفهم حق الفهم إلا إذا عبأ المرء لها كل الوسائل الممكنة كي يظفر بمعناها العميق"[5]

وتأتى خصوصية الأدب في التعبير عن قضايا المجتمع، وفي الدور المجتمعي الخطير الذى يقوم به من كونه غير قائم على المباشرة فـ "دلالة الأدب غير مباشرة وغير تلقينية ولا تقليدية، وبهاتين الميزتين يحتفظ الأدب بمقوماته الفنية أو الجمالية على حين لا يفقد شيئا من جوهره الإنساني المرتبط حتما بموقف العصر وقضاياه وبثقافة الكاتب العصرية إلى جانب ثقافته الفنية ثم بثقافة الجمهور ودرجة وعيه" [6]

وينبثق من هذه القضية قضية أخرى ألا وهى: أيهما أكثر تعبيرًا عن المجتمع وقضاياه الشعر أم القصص عموما سواء أكانت مسرحيات أم روايات أم قصص قصيرة؟

---

[2] – دبرا بارسونز :– رواد نظرية الرواية الحديثة: ترجمة أحمد الشيمي –ط1 2016م صـ50

[3] – د/محمد غنيمي هلال:– قضايا معاصرة في الأدب والنقد /نهضة مصر/د. ت/صـ155

[4]– نفسه

[5] – نفسه

[6] – نفسه: صـ141

ISSN : 2410-1818

وإجابة هذا السؤال تأتي من خلال التفريق بين طبيعة كل فن، فنجد سارتر يُفرِّق في حديثه بين طبيعة العمل الفني في الشعر وبين طبيعته في الفن القصصي والمسرحي قائلًا:

"فإذا اهتم الشاعر بالحقائق الكونية أو الاجتماعية، فإنما يهتم بها من حيث صداها في النفس ويعبر عنها من خلال ذاته، ويضيق بها أو يهرب من مواجهتها، على حين لابد لمؤلف القصة أو المسرحية من أن يخرج من حدود ذاته ؛ ليصور الحقائق والأحداث من خلال الشخصيات الأدبية مبينًا من ثنايا مواقف الشخصيات دواعي التجارب الإنسانية وطبيعتها ونتائجها على نحو موضوعي خارج نطاق ذاته"[7]

يكمن إذن الاختلاف الرئيسي بين فن الشعر والفن القصصي أن الأول يركز على المشاعر أكثر من الفكر، في حين يجمع (الفن القصصي) بين الفكر(الذى يغلب) وبين المشاعر، والذى يتأتى ذلك من خلال الشخصيات والأحداث؛ لذلك فالفن القصصي قادر على التعبير عن قضايا المجتمع ومتغيراته وأنساقه المترابطة (كالنسق السياسي والنسق الاقتصادي والنسق المعرفي وغيرها).

وهذه الأنساق متغيرة، فـ "يلحق بها التغيير بصورة دائمة ويؤدى إلى تغيير قسمات هذه الأنساق تغييرا جزئيا أو كليًا حسب الظروف والمراحل المختلفة... والتغير الاجتماعي بذلك ينطوي على عديد من العمليات الاجتماعية التي عادة ما تكون محصلتها التغير الجوهري في بناء شخصية الإنسان ذاته في حقبة تاريخية محددة"[8]

يستطيع الفن القصصي بفروعه المختلفة التعبير عن هذه المتغيرات المختلفة؛ لذا نجد الكثير من الأعمال الأدبية (القصصية) تمثل وثائقًا مجتمعية؛ فالأدب يمثل بنية صغرى تناظر البنية الكبرى وهى بنية المجتمع. وأصدق مثال على ذلك أعمال نجيب محفوظ الروائية التي عبرَّت وبصدق عن المجتمع وعن شخوصه وقضاياه وتغلغلت في أدق تفصيلاته وفى التعبير عن شوارعه وأزقته و حواريه، وفى صعود طبقاته وهبوطها. وينطبق الأمر على أدباء آخرين كجمال الغيطاني ويوسف السباعي وغيرهم فـ"فالأعمال الأدبية العظيمة تستطيع أن ترصد العمليات الاجتماعية اللصيقة بالتغير الاجتماعي وأن تلقي الأضواء عليها وعلى مساراتها المتعددة بصورة أكثر بروزًا ووضوحًا وحيوية من كثير من البحوث العلمية؛ ومن هنا يهتم الباحثون العلميون بتحليل مضمون مثل هذه الأعمال حتى يضعوا أيديهم على مفاتيح التغير الاجتماعي في المجتمع وآثاره، وخصوصا بالنسبة للمراحل التاريخية التي انقضت.... "[9]

---

[7] – نفسه: صـ149

[8] – السيد ياسين:التحليل الاجتماعي للأدب: مكتبة مدبولي صـ197

[9] – نفسه

ISSN : 2410-1818

وإذا كانت الرواية تصور حياة كاملة بكل تفصيلاتها أو تكشف عن الكثير من التغيرات المجتمعية في وقت واحد ، فالقصة القصيرة تركز على موقف بعينه وتعتمد على التكثيف والإيجاز؛ لذا ربما يكون تأثيرها في بعض الحالات أشد وأخطر.

نشأت القصة القصيرة في مصر متزامنة مع ثورة (1919م) حيث "انبثقت القصة من الثورات الوطنية والفكرية والأدبية والاجتماعية؛ ولهذا نراها لا تكاد تتخلى عن رسالتها الاجتماعية ودعوتها الحارة إلى مجتمع أمثل "[10]

وقد حاول القصاصون التعبير عن الشخصية المصرية وعن المجتمع المصري، ومن سماتهم في مرحلة النشأة: "الميل إلى العبرة من الأحداث وبث الأغراض الخلفية والاجتماعية (...) فحرصوا على الهدف الاجتماعي على اختلاف في المقدار وفى المنهج، وكانت الدعوة الى الفن مقرونة دائما بما يحققه المجتمع من فوائد التهذيب والإصلاح"[11]

إذن كانت وما زالت القصة القصيرة حاجة مجتمعية قبل أن تكون حاجة فنية ، فـ"كاتب القصة القصيرة اليوم يكتب ليعطي وقوفًا ويقظة للإنسان ويكتب ليغسل العيون النائمة. القصة ليست مهدئة قبل النوم، بل هي تنوم الظلم لتستيقظ العدالة. فإذا دققنا إلى الرواية نفهم أن فيها قصصا قصيرة اتصلت بخيط الشخصية /الموقف/الزمان/المكان وتحولت الى رواية.

القصة القصيرة على خلاف الروايات الطويلة تقوم بدراسة الحياة وموقف الحياة، وكاتب القصة القصيرة يختلف عن كل إنسان في أنه ينظر إلى الأشياء الواقعية نظرة خاصة يتعمقها ويفرز عليها من أفكاره وخيالة"[12]

وجدير بالذكر الإشارة إلى أن كل قاص يختلف عن غيره في طريقة التعبير عن المجتمع وقضاياه فتتنوع الطرق وتتعدد؛ فهناك من يلعب دور المؤرخ الاجتماعي الذي يعرض لمواقف وشرائح وشخصيات من الحياة دون أن يعلق أو يحكم عليها ، وهناك من يتخطى هذا الدور ليلعب دور (الناقد الاجتماعي) الذى ينقد مواقفة و سلوكياته وأنساقه المختلفة باستخدام استراتيجيات وتقنيات متعددة ، فقد يستخدم المباشرة في التعبير أو الرمزية أو التعبير الكاريكاتوري وغيرها ، على حسب رؤيته وعلى حسب الظروف المجتمعية المحيطة به. وعلى العموم فإن موقف القاص /الكاتب عمومًا من مجتمعه "يختلف اختلافًا

[10] – القصة القصيرة في مصر :–منذ نشأتها حتى سنة 1930– مكتبة الأسرة 2010 صـ111

[11] نفسه صـ113

[12] نفسه

ISSN : 2410-1818

كبيرًا بحسب الطبقة الاجتماعية التي يتوحد بها ويدافع عن مصالحها، ويحسب اللحظة التاريخية التي ينتج فيها، وأهم من ذلك كله وفق "رؤية العالم"[13]التي يصدر عنها(...)ومفهوم العالم يعنى ببساطة رؤية الانسان للكون والطبيعة والمجتمع والفرق هنا أن المبدع عادة ما يصدر عن رؤية متماسكة للعالم تنعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على جماع إنتاجه الأدبي ويظهر هنا التأثير في اختيار موضوعاته وفى تجسيد النماذج الإنسانية التي يدور الصراع بينها، بل الحوارات التي تدور بين الأبطال"[14]؛ لذا نجد أن الكاتب إذا كان صاحب رؤية متماسكة للعالم فقد لا يقنع بمجرد الرصد أو التشخيص، بل يرقى إلى الناقد الاجتماعي.

وفى واقع الأمر إن أسلوب الكاتب الفني وطريقته الفنية هي الفيصل في جدوى الأمرين (التأريخ الاجتماعي أو النقد الاجتماعي)، ذلك الأسلوب الذي يُحدث تأثيرًا مجتمعيًا، من خلال ما يطرحه من أفكار ومشكلات وتساؤلات فالأدب الناجح العظيم هو الذي يُفجرُّ من الأسئلة أكثر مما يجيب، هو الذي يدفعك للتساؤل وللتغيير، هو الذي يبني الاتجاهات والقيم.

وإذا كانت الوظيفة المجتمعية للأدب قائمة إلى نهاية الخليقة، فمن الضروري حينها دراسة الإنتاج الأدبي لكل مرحلة ولكل بيئة على حدة كمحاولة لرصد التأثير المجتمعي على الأدب سواء من خلال الموضوع أو من خلال بنيته السردية، وكذلك في اتجاه آخر وهو تأثير الأدب على المجتمع، وهو دور الباحثين الاجتماعيين على وجه التحديد.

ومن هنا نعرض نماذج قصصية لأدباء البحيرة وأديباتها، محاولين -قدر المستطاع-تتبع أثر المجتمع على قصصهم وكيف تم تمثيل قضاياه من خلال قصصهم القصيرة والقصيرة جدًا، ومكمن الاختلاف في معالجة هذه القضايا بين سرد المرأة وسرد الرجل وذلك في إطار المجموعات القصصية المتاحة لدينا.

(2)تمثلات المجتمع في السرد القصصي الذكوري:

يُعد السرد الذكوري أحد أبرز المسارات التعبيرية التي تُوظّف القصة القصيرة جدًا للتفاعل مع الواقع الاجتماعي، لا بوصفه مجرد توثيق، بل كوسيلة لإعادة بناء هذا الواقع نقديًا عبر بنية رمزية كثيفة ومشحونة بالدلالات. ويستمد هذا السرد خصوصيته من موقع الرجل داخل النظام الاجتماعي،

[13] (رؤية العالم)مفهوم احتفل به عالم الاجتماع "لوسيان جولدمان" احتفالا شديدا واعتمد عليه في تحليل طائفة متنوعة من الأدباء تحليلاً سوسيولوجيًا

[14] السيد ياسين: صـ219

ISSN : 2410-1818

ومن علاقته المُعقّدة بالسلطة، والتقاليد، والطبقة، وهو ما ينعكس كثيرًا في اختياراته السردية وفي نمط تمثيله للقضايا المجتمعية.

وفي ضوء هذا المنظور، يتناول هذا الفصل تمثلات المجتمع في السرد الذكوري من خلال تحليل نماذج مختارة من القصة القصيرة جدًا، لاسيما في مجموعتي "شموس لا تعرف المغيب" لأحمد حلمي الزرد و"نزف منفرد" لعلاء صديق، اللتين تقدّمان سردًا مُحَمّلاً بمشاهد ومفارقات تختزل بؤر الاحتقان الاجتماعي في المجتمع المصري الراهن، من قهر سياسي، إلى اغتراب نفسي، مرورًا بانهيار القيم التقليدية وصراع الإنسان مع ذاته وطبقته ومحيطه.

يُبرز السرد الذكوري في هاتين المجموعتين رؤية متشائمة إلى حد كبير، حيث يُهيمن الإحساس بالخذلان، والتكرار، والتزييف الاجتماعي، وهي سمات نابعة من معايشة الأنساق الضاغطة التي غالبًا ما تُفرَض على الفرد الذكر بوصفه جزءًا من نظام سلطوي، يكون ضحيته في أوقات، وصانعه في أوقات أخرى، وذلك حسب موقعه الاجتماعي.

إنّ هذا التمثيل لا ينفصل عن لحظته التاريخية ولا عن طبقة الكاتب أو رؤيته للعالم، بل هو نتاج تفاعل معقد بين الكاتب والواقع، يتخذ من القصة القصيرة جدًا وسيطًا للتعبير الرمزي، وشكلًا من أشكال المقاومة الصامتة، في ظل واقع يحدّ من إمكانيات التعبير الصريح.

(2/1) شموس لا تعرف المغيب لأحمد حلمي الزرد:

تحتوي هذه المجموعة القصصية على سبعين قصة قصيرة جدا وومضة قصصية يغلب عليها سمات مشتركة كثيرة نفصلها في السطور القادمة.

فإذا بدأنا بخطاب العتبات والنصوص المحيطة الداخلية منها والخارجية، الذي يُمثّل خطابًا هامًا له علاقة بدواخل النص، ويفضي إلى العديد من الدلالات، فهو لم ينشأ عبثًا أو اعتباطًا، بل له أسباب كثيرة ودلالات مختلفة، وتلعب هذه العتبات دورا هاما في توليد المعنى والمساهمة في تحقيق مقصدية الكاتب، وما وضعت لنا هذه العتبات إلا لنقرأها ونتأملها محاولين استكناه ما ترمي إليه. وتمثل الكثير منها عتبات عبور هامة إلى أفضية النص الداخلية "فما من عتبة إلا وتحمل دلالة ما أو تضطلع بوظيفة من الوظائف ولا يمكن لها أن تكون بريئة في موضعها وموقعها وتركيبها"[15] وفي كل عمل أدبي يعرض منذ "مطلعه، بل ومنذ عنوانه عددًا من المعلومات التي يستطيع المتلقي بالانطلاق منها تقليص التباس النص الذي بين يديه، وهذه القرائن صرفية أو تركيبية أو دلالية، وهي تصادر على الوجود

[15] –عبد المالك أشهبون:عتبات الكتابة في الرواية العربية:دار الحوار :سورية(اللاذقية):الطبعة الأولى (2009):صـ43

ISSN : 2410-1818

القبلي لثقافة تسمح بالحد من التعدد الدلالي للنص، وذلك بإدراجه ضمن أنساق فكرية أو جمالية أوسع"[16]

فإذا بدأنا بالعناوين الداخلية والخارجية سنجد أن قصص الكاتب السبعين تحيل إلى دلالة متقاربة معاكسة لدلالة العنوان الرئيس المختار للمجموعة القصصية ككل، فكلها منتقاة من الجانب السلبي للبشر ومن السمات السلبية للحياة، ومن صفات المجتمع السلبية والمتدنية حتى العناوين التي تحمل دلالات إيجابية، غالبا ما نجد في دواخلها تحولات سلبية وتناقضات في طبائع البشر وفي أحداث الحياة، والكثير من خيبات الأمل وفقد الثقة بالمجتمع وأنساقه المختلفة السياسية والمعرفية والفكرية والخلقية. فنجد عناوين قصصه كالتالي (قدر-شموس معتمة-مصير-ضال-جور-غفلة - قسوة-شيب-آبق-أوب-قيد-غاصب-ثمن بخس-وهم- خيبة-صراع-قرح-وحشة-طيش-دمعة-شجون-مكر-غي..) وقد كرر الكاتب بعض عناوين قصصه، فاختار عنوان (غفلة) لثلاث قصص[17]، كما كرر عنوان (وحدة) [18]لقصتين.

وقد تقاربت العناوين في قصص أخرى بشكل يصل إلى حد التطابق مثل (سرابات نابضة[19]، سراب) و(نزف-نزيف)[20]و(مراوغة، مراوغَة)[21]

ورغم كل هذه العناوين التي تحمل دلالات الألم والتي لا تنفصل عن موضوعاتها، فهي تمثل دال رئيس تدو حولها القصة، إلا أن الكاتب لم يختر لمجموعته القصصية عنوانًا يحمل نفس دلالاته ونفس إيحاءات قصصه، إنما جاء عنوانه "شموس لا تعرف المغيب" بدلالاته الإيجابية وبطاقة الأمل التي يحملها في طياته، والموجودة بالنفس البشرية مهما كان الظلام حالكًا من حولها، فبرغم ما بالحياة من آلام وبرغم ما بالمجتمع والنفوس من آثام ومن تحولات سلبية وخطيرة في بنيته وأنساقه إلا أن الأمل يظل باقيًا، إلا أن شموسه لا تعرف المغيب، وهناك شموس في هذا المجتمع ليس شمس واحدة، وهذه الشموس لا تعرف المغيب.

---

[16] –بيرنار فاليط:النص الروائي تقنيات ومناهج:ترجمةد/رشيد بنحدو:منشورات1992:صـ84

[17] – انظر :أحمد حلمي الزرد:شموس لا تعرف المغيب:ص25–صـ43، صـ84

[18] –السابق:صـ64، صـ85

[19] –صـ12، صـ23

[20] –السابق:صـ26، 46

[21] –السابق:صـ73، صـ74

ISSN : 2410-1818

وإذا أضفنا إلى هذا العنوان دلالة (**الغلاف**) ورمزيته، ذلك الغلاف الذي أتي حاملًا صورة طفل وهو يمسك الشمس بيديه بما يحمل دلالة أن الأمل يأتي من الأجيال الصغيرة، وهي التي ستمسك الشمس بضوئها لتنير لهذا المجتمع عتمته.

وقد اهتم الكاتب بتوصيف مجموعته القصصية من خلال عتبة (**المقدمة**) قائلا:

"عزيزي القارئ أضع بين يديك مجموعتي القصصية الثانية "شموس لا تعرف المغيب" والتي تتضمن أحداثًا ومشاعرًا وشخصيات ذات صلة وثيقة بهذا الواقع، تفتح أبوابه المغلقة وتحلق بنا في فضاءات الحب التي انتقيت لها الحروف لأجلك، وثانيًا لأجل أن أكون بين ظهرانيكم مدادًا يعاند النسيان.. "[22]

بهذه المقدمة التي تُمثل ميثاقًا بين الكاتب والقارئ، ووثيقةً تحمل رؤية الكاتب للعالم وموقفه تجاه قضايا المجتمع وتجاه واقعه، ندلف إلى القصص السبعين والتي يلقي فيها الكاتب الضوء على الكثير من خبايا النفس البشرية، وتنطلق إلى معالجة مشكلات المجتمع بطرح تساؤلات، وتحاول إظهار تناقضات المجتمع ؛ فنجد إشارات متعددة لموضوعات وقضايا خاصة بالوقت الراهن فمنها ما يتعلق بالثورة على الظلم والطغيان والبغي، ومنها ما يتعلق بإرادة التغيير، والحريات المُكبلة، طواعية الإنسان للظالم، الفن وتأثيره، تناقضات البشر وسلبياتهم - قضايا الزواج وعواقب الاختيارات الخاطئة- الحروب.. إلخ)

****نماذج من قصصه القصيرة جدا:**

يقول في (قدر):"الصقر الذي انطلق نحو السماء تراجع هاويًا متشبثاً بذراع يرتجف فوقه، فالحبل الذي صُفِّدت به ساقه لا يجاوز تحليقه"[23]

توحي لنا هذه الومضة القصصية بسمة رئيسة أضحت مسيطرة على المجتمع وهي: تكبيل الحريات وتقييد كل من لا يستطيع سوى الطيران في الأفق، وقد عبر الكاتب عن هذا المعنى من خلال استعانته بالصقر كرمز للإنسان.

[22] –السابق:ص5

[23] –السابق:صـ17

ISSN : 2410-1818

وفي "إصغاء" يقول الكاتب:

"كرة اللهيب ستشعل أنهارًا إن لم تلاحقها تأتي ثورة الإنسان الذي لا تتوقع ثورته أبدا"[24]

قد لا تأتي الثورة ممن يتوقع منهم الاعتراض أو الاحتجاج، وإنما ممن لا يتوقع منهم ذلك. ويحدث ذلك نتيجة حالة الكبت والإحباط وعدم الإصغاء إليهم وإلى مشكلاتهم. وذلك يحيلنا إلى الظروف المجتمعية الراهنة التي نعيش فيها والتي لا يُهتم فيها بالطبقات المهمشة في المجتمع، الأمر ينطبق كذلك على الكثير من الأشخاص، ينطبق على الطفل، والمرأة المقهورة والموظف المقهور.... على كل من هو مهمش.

وفي (شروق)[25] يقول: "ذلك الباب الموصد، لا ظلال خلفه، كلما طُرق انبجست من ثُلمته أشعة كثيرة.. طالما استعصى عبوره، لا من قوة به بل رهبة لما وراءه.. ذات صباح دعيت إليه همم اصطفوا شاهرين يمناهم وبأقدامهم دفعوه.. تهادوا لجانبه الآخر، فأظلتهم فرحين شمس النهار"

يمس الكاتب في هذه الأقصوصة جانباً من نفسيات البشر وهي خوفنا من المجهول الذي ربما يحمل لنا الخير الكثير ولكنه فقط يحتاج لأصحاب الهمم.

ويرصد الكاتب كذلك التغيرات في أنساق المجتمع السياسية في أكثر من قصة وما لحقها من تغيرات في الأنساق الخلقية والفكرية، وذلك في أكثر من قصة منها :(تعويض-جفول-إصغاء-شروق-استلاب-غفلة-حيلة) وهي تتعلق بالثورة وخيانة أبناء الوطن لبعضهم.

ومن ذلك قصة **مباغتة** والتي يقول فيها الكاتب:" استنكروا الخير. ظنه المتفائلون محض شائعة، باغتنا مساء بخطبته العصماء" قررنا البقاء لأنكم لم تتخيروا غيري".

لعب الكاتب في هذه القصص دور المؤرخ الاجتماعي والناقد في آن واحد، حيث وصف مشاهد ومواقف مختلفة، أغلبها تركز على طبائع المجتمع في هذه الآونة وعلى تناقضات البشر والزيف والتزييف الذي أصبح سمة رئيسة في المجتمع بكل مستوياته، كما اعتمد على خواص القصة القصيرة جدا والومضة التي تتميز بالتكثيف والإيجاز وفي نفس الوقت قوة الدلالة، وغالبا كان المسكوت عنه أكثر من المنطوق، واعتمد على الإيحاء بالفكرة.

---

[24] –السابق:صـ17

[25] –السابق:صـ35

ISSN : 2410-1818

ويأتي النقد المجتمعي في طي التأريخ للصفات النفسية والمجتمعية ومشكلاته ورصد التغيرات في أنساقه المختلفة؛ لذلك نجده قد استعمل عنصر المفارقة بقوة في العديد من ومضاته، وذلك كما هو معلوم أن تجاور النقيضين يوضح الرؤية للإنسان، فحينما يظهر الخير أمام الشر فحينها لا يحتاج الكاتب أن يتحول إلى واعظ اجتماعي أو ديني؛ فالاعتماد على المفارقة والابتعاد عن المباشرة يجعل أثر القصة على المجتمع أفضل.

وجاء استخدام المفارقة والتضاد على مستوى المعنى العام والبنية اللغوية نفسها، ومن أمثلة ومضاته التي اعتمد فيها على المفارقة (وحدة-اغتراب-وطن-مكر-قرح)

ففي **(مكر)** يقول: "الرجل الذي استأجرته ليقتله، أتاني ليلًا ليبلغني أنه قضي، ناولته ما تبقى من أجر فعاجلني بطعنة نافذة أرسلها لي غريمي مدفوعة الأجر"[26]

وفي **(اغتراب)** يقول: "لا أعترف دومًا بالمسافات... فحينما التقينا كنت أفتش عنها في وجوه السائرات بينما هي كانت تبحث عن آخر"[27]

أما في **(قرح)** فيقول:" طبيبي الذي لم أزره منذ أشهر إذ تعافيت من وساوسي القهرية، طالعت بالجريدة نبأ انتحاره"[28]

ومن اللافت للنظر استخدام الكاتب للبيئة بعناصرها المختلفة كمكون لومضاته وقصصه القصيرة جدا مثل(الشمس-الأنهار-الظلام-الظلال-الشروق-الغروب..) وكل منها تحمل دلالات مختلفة وتأويلات مختلفة، كما استخدم الحيوانات الرامزة إلى البشر بضعفهم وقوتهم وثورتهم(القط-الأرنب-الثعلب).

وخلاصة الأمر أن هذه المجموعة القصصية يغلب عليها طرح التساؤلات وتعدد التأويلات وهذا ما جعلها ناجحة، وهي تمثل أو تعكس صورة للنفس البشرية في هذا المجتمع هذه الفترة الزمنية تحديدا، والتي إذا ما قارناها مع فترة زمنية أخرى سابقة عليها سنلاحظ التحول في بنية المجتمع وفي أنساقه، وقد عبرَّ الكاتب عن مشكلات المجتمع وحالة الاغتراب التي يعيشها الإنسان وهو الأمر الناجم بالضرورة عن التغيرات الحادثة في سلم المجتمع وبنيته وفي قيمه الأخلاقية والفكرية.

---

[26] -نفسه:صـ62

[27] -نفسه:صـ63

[28] -نفسه"صـ52

ISSN : 2410-1818

ومن هنا تأتي أهمية الأدب "فالأدب حين لا يُعلِّم شيئا ولا يعكس صورة صادقة لحياة العصر ينأى عن جوهره الاجتماعي في طبيعته التي ترمي ضرورة إلى تصوير المواقف في الحياة فيكون مهددا بالموت، أو يحيا حياة عابثة أفضل منها الموت"[29]

(2/2)نزف منفرد للكاتب "علاء صديق":

تحتوي هذه المجموعة القصصية على ثلاث وسبعين قصة قصيرة جدًا، صنفها الكاتب تحت خمس **عناوين** داخلية مختلفة أو تحت أوجاع مختلفة-كما أسماها - وهي:(استحواذ-تأوهات-احتياج-جموح-لقاء)

ترتبط العناوين الخاصة بكل أقصوصة على حدة بهذا العنوان المصنف تحتها والذي يمثل وجعًا من أوجاع الكاتب وتأوهاته، بل ويمثل وجعًا من أوجاع المجتمع بأناسه ومشكلاته المتشعبة، لتتناغم في النهاية كل أقصوصة داخل هذه المجموعة فتمثل نزفًا من القلب على كل جانب من جوانب حياتنا -وخاصة أن المجموعة تتنوع موضوعاتها وتتشعب- أو لتمثل -كما يوحي لنا عتبة الغلاف بذلك -نغمًا حزينًا أو عزفًا مؤلمًا تتقاطر بسببه الدماء وتسيل من أيدي العازف الذي يعزف هذه الكلمات (وكان الأحرى أن تخرج الدماء من موضع القلب).

تمثل هذه المجموعة أوجاعًا وآلامًا كما سبق وقلنا؛ لأن جزءًا منها يرصد مشاعرًا إنسانية مؤلمة أو صفات وسمات خاصة بالمجتمع وبتغيراته، ويركز جزء منها على مشكلات باتت رئيسة في المجتمع.

ويبدو أن هناك أمورًا أثرت على الكاتب أكثر من غيرها أو استحوذت على اهتمامه، وربما كان ذلك لأنها كانت لصيقة ببيئته أكثر؛ لذلك نجد صداها داخل المجموعة القصصية أكبر، كما نلاحظ تكرارًا لموضوعاتها وتعددًا في مفرداتها، ومن هذه الموضوعات: ما يتعلق بمشكلات القطارات في مصر والسكة الحديد، ونجد ذلك في ثلاث قصص وهي(مكتوب-صعوبة سؤال-رصيف).

وهذا الأمر يمثل انعكاسًا لمشكلة أرّقت المجتمع المصري لسنوات كثيرة وما زالت نتيجة لتهالك القطارات وعدم تحديث تلك المنظومة، مما نجم عنه حوادث دامية راح ضحيتها الكثيرون من أبناء الوطن خاصة من الطبقات المتوسطة والفقيرة.

ومن بيئة **التدريس** والمدارس والجامعات يستلهم الكاتب أكثر من أقصوصة ويعبر أو يلمح إلى مشكلات تتعلق بها كأحوال المدرسين المادية، وهذا ما نجده في(عبقرية-يد-مأزق)

[29] –د/محمد غنيمي هلال:صـ140

ISSN : 2410-1818

**** نماذج من قصصه القصيرة جدا :**

يقول في (معرض): "أمام لوحة في معرض الفنان الكبير تجمعوا، كل أدلى بدلوه، اختلفوا كثيرا، تعالت أصواتهم، تبارى كل بعبقريته، في تلك الأثناء لحق بهم الفنان صاحب المعرض، ودعاهم لمشاهدة اللوحات الأخرى حيث إن هذه اللوحة مجرد خطوط زيتية لم تكتمل بعد. "[30]

يعبر الكاتب في هذه الأقصوصة عن مشكلة باتت مؤرقة للمجتمع ومتغلغلة وهي النفاق والمداهنة وتجاوز الناس لكل الحدود فيما يتعلق بهذا الأمر والذي لم يعد مقتصرًا على ثلة من الناس، بل أضحى سمة مشتركة بين الجميع تقريبًا. وقد عبر عنه الكاتب برسم صورة رائعة تجعل القارئ يضحك ولكن بمرارة.

وقد اشترك الكاتب علاء صديق مع أحمد حلمي الزرد في رصد سمة النفاق والزيف، وكذلك مع المجموعات القصصية التالية محل الدراسة.

ومن السمات الرئيسة المشتركة التي رصدتها الكثير من القصص أيضا هو تعود البشر على تقييد الحريات وحنينهم الدائم لمن يقيد حريتهم، وقد رمز الكاتب للبشر هنا بـ(الكلب) وبما يفعله مع صاحبه وهو الأمر الذي ينسحب على الكثير من البشر.

يقول علاء صديق في أقصوصته(تعود): "عندما كنت عند جارنا "محمود" ناشدته أن يطلق الكلب الذي يقيده بالسلاسل الحديدية، فأطلقه في حضوري بعد اقتناع، في الصباح رأيته يطعم كلبا جديدا مقيدا بنفس السلاسل، لمته كثيرا.

علق: إن هذا الكلب ليس جديدًا، وإنه نفس الكلب رجع صباح هذا اليوم ورقد في نفس المكان. "[31]

ونفس المعنى نجده في قصة **(شكل صحيح)** يقول فيها الكاتب:

" ضربه سيده على خده الأيمن، فسالت دماؤه، بكى، فضربه على خده الأيسر، فوقع جزء من أسنانه، واعوج فكه، لحظتها فقط حزن بشدة.. لأنه لن يقول كلمة سيدي بشكل صحيح. "[32]

---

[30] –علاء صديق:نزف منفرد: مكتبة بستان المعرفة(2007):صـ36

[31] –السابق:صـ57

[32] –السابق:صـ58

ISSN : 2410-1818

ومن الجدير بالذكر اشتراك الكاتب مع سابقه في صفتين أساسيتين-وإن اختلفا في النسبة- وهما:

(المفارقة والترميز) فعلاء صديق هو الآخر اعتمد على المفارقة في تصوير العديد من المشاهد ورصد الكثير من المشكلات، إضافة إلى استخدامه الترميز في مواضع مختلفة.

ومن الأقاصيص التي تحمل سمة المفارقة **(دور)** والتي يقول فيها: "كتم دمعاته المتبقية في المآقي وبهدوء صعد المسرح لأداء دوره"[33]

وكذلك**(هدوء)** التي تحمل دلالة المادية المسيطرة على حياتنا وغلبتها على المشاعر الرقيقة البسيطة، حيث يقول فيها: "أهداها شمعة.. أطفأتها، أهداها زهرة. ألقتها، وحين أهداها سيارة احتضنته"[34]

(3) تمثلات المجتمع في السرد النسوي:

لاشك أن الأدب الذي يكتبه الرجل يختلف عن الأدب الذي يكتب بقلم المرأة، ويتأتى ذلك من اختلاف سمات المرأة عن الرجل من جهة، ومن اختلاف موقعها في المجتمع من جهة أخرى، والذي بدوره يختلف من امرأة لأخرى، فلا تتساوى التجارب أبدًا حتى بين النوع الواحد.

ومن المعروف أن هناك اتجاهات متعددة في الأدب النسوي، فهناك اتجاه يركز على قضايا المجتمع ككل ومشكلاته ومشكلات عصره عموما، وممن يمثل هذا الاتجاه الكاتبة رضوى عاشور.

وهناك اتجاه يتولى الحديث عن قضايا ومشكلات المرأة ويحصر نفسه فيها، كما يركز على الحديث عن التابوهات المغلقة أو المحرمة وعما هو مسكوت عنه.

وهناك اتجاه آخر يجمع بين الاتجاهين السابقين، فيتناول مشكلات المرأة دون الفكاك من قضايا المجتمع الأخرى.

ونعتقد من وجهة نظرنا أن هذا الأمر ينتج من اختلاف شخصية الكاتبة نفسها وظروفها المجتمعية ورؤيتها للعالم وللمجتمع. ندلل على ذلك بالكاتبة رضوى عاشور، حيث كانت لها رؤية

---

[33] –السابق:صـ27

[34] –السابق:صـ86

ISSN : 2410-1818

خاصة تتعلق بهذا الأمر فذكرت في حوار سابق لها مع إحدى الصحف:" هناك أشكال متُعددة من الخطاب النسوي، وهناك تبسيط مُخل أحياناً ووعي سياسي في أماكن أخرى، هناك خطاب نسوى قائم على جسد المرأة، وهناك خطاب نسوى آخر يضع في الاعتبار الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي... إلخ. وأنا لا أنظر إلى نفسي بصفتي نسوية بالمعني الدارج، لكن المؤكد أيضاً أنني شديدة الوعي بوضعية المرأة وبحقها في تغيير هذه الوضعية وأخشى أن بعض الاتجاهات في الخطاب النسوي تسعي للتعمية على قضايا أخرى في المجتمع، وبالمناسبة هذا ما حدث مثلاً في الولايات المتحدة في وقت من الأوقات حيث كان الحديث عن الخطاب النسوي أداة لسحب البساط من تحت أقدام الخطاب التحرري للأفارقة الأميركيين [35].

من هذه المنطلق سجلت رضوى إبداعها، ومارست خطاباً نسوياً مُغايراً - كما تقول - يهتم بتسجيل الأحداث التاريخية والاجتماعية كما يهتم بالتركيز على دور المرأة وتوثيق موقفها من هذا التاريخ، وقبل كل ذلك إسهامها في صناعته، وبذلك يُكتب التاريخ بطريقة مغايرة عما كان يحدث في الماضي من هيمنة الرجل على كتابته ؛ فلو " تيسر للمرأة أن تكتب تاريخ الزمان والأحداث وتولت بنفسها صياغة التاريخ ولم يكن ذلك حكرا على الرجل وحده، إذن لكنا قرأنا تاريخاً مختلفاً عن فاعلات ومؤثرات وصانعات للأحداث، وهنا ستكون الأنوثة قيمة إيجابية كالفحولة تماماً [36].

ورضوى وغيرها ممن انتهجن نفس نهجها لم يتخذن الرجل مُنافساً لهن، بل اتخذنه أباً وصديقاً وزوجاً وابناً. فجمعتهن بالرجل علاقة المساواة والشراكة ونظرن إلى أنفسهن وإلى المرأة عموماً نظرة الشخص الذي يكتسب حقه بممارسته بغض النظر عن رأي الآخر. وهذا النمط من السرد يتبع عادة تقنيتين رئيستين تتحكمان في مسار الأحداث ورصد الوقائع وبناء الشخوص هما التدمير والتكوين، تدمير الواقع الثقافي القائم بكل أنساقه الظالمة للأنثى، وإنشاء واقع جديد يلغي علاقة المُفاضلة التي سيطرت على ثنائية الذكر والأنثى وأعلت الطرف الأول الثاني إعلاءً مطلقاً[37]

ويمثل السرد القصير في تجلياته النسوية أداة فعالة لكشف التصدعات الاجتماعية من منظور الجندر، حيث تُبنى النصوص على مفارقات دقيقة، ولغة مشحونة بالإيحاء، وصور تومئ إلى اختلال في

([35]) حوار مع رضوى عاشور: جريدة الشرق الأوسط، 2004/3/20م (ع9244)

([36]) المرأة واللغة د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي بـ ط2، 2015م.

([37]) رشا ناصر على: الأبعاد الثقافية للسرديات النسوية المُعاصرة فى الوطن العربي (1990 – 2005) رسالة دكتوراه: إشراف أ. د/ محمد عبد المطلب، كلية الآداب بجامعة عين شمس، 2009م.

ISSN : 2410-1818

العلاقات بين الأفراد والسلطة والمجتمع. وتُظهر الكاتبات في هذه النصوص وعيًا عاليًا بالذات وبالموقع المجتمعي، وبالاشتباك مع قضايا كبرى تمسّ المرأة بوصفها فاعلًا متأثرًا ومؤثرًا في آن واحد.

ونرصد في هذا الفصل تمثلات المجتمع في السرد النسوي عبر ثلاث مجموعات قصصية لثلاث كاتبات مصريات، حيث تعكس كل مجموعة زاوية مختلفة من زوايا الاشتباك مع الواقع:

•"براكين هادئة" لشيماء تاج الدين، حيث يتصدر المشهد قهر المرأة داخل الأسرة والمجتمع، وحالة الغضب المكتوم التي توحي بها الصورة الأنثوية تحت ضغوط الحياة.

•"نصف عين نصف ساق" لعلياء البنهاوي، وفيها تتجلى الطبقات المهمشة وتقاطعات الجندر والطبقة.

•"فواصل زجاجية ملونة" لنوال شلباية، والتي تسلط الضوء على الانقسامات الداخلية لدى المرأة الحديثة بين الحلم الشخصي والطموح المهني والاجتماعي.

ومن خلال هذه النماذج نقف أمام أصواتًا نسائية لا تسعى فقط إلى تمثيل الألم، بل إلى تفكيك البنية المجتمعية التي تنتجه، وذلك باستخدام جماليات خاصة تقوم على الإيحاء، الرمزية، المفارقة، وكسر التوقع، وتُسهم في إعادة تشكيل صورة المجتمع من موقع الهامش الذي يتحوّل إلى مركز تعبيري في النص.

(3/1) براكين هادئة للكاتبة شيماء تاج الدين:

تمثل المرأة منذ العتبة الأولى **(الغلاف)** محورًا للعمل القصصي وبطلها الرئيس، فتأتي صورة الغلاف معبرة عن حال الكثيرات من النساء في مجتمعنا العربي، حيث تجلس على الطاولة بجوار النافذة وتحيك قماشًا ممتدًا من ماء البحر خارج النافذة، وفي نفس الوقت تقف صورة مشابهة لها على الماء، وكأن اللوحة تقول لنا أن المرأة تفعل شيئا ولكنها تتمنى شيئا آخر.

أما عن **(العنوان)** فيُمثل حالة الغضب التي تكون بداخل المرأة في حالات القهر، الذي تصنعه ظروف المجتمع الصعبة أو تحمل المرأة للكثير من المسئوليات أو نظرة المجتمع للمرأة وازدواجيتهم في التعامل، وقد يكون بالمعنى المتبادر إلى أذهاننا دائما وهو (قهر الزوج للمرأة)

تناقش الكاتبة في إطار هذه المجموعة القصصية مشكلات تتعلق بالمرأة وقضاياها على وجه التحديد، ومشكلات أخرى تتعلق بالمجتمع ككل من حيث أنساقه ونظمه المجتمعية وطبقاته والصراع

ISSN : 2410-1818

بين الطبقات، ومن حيث الخصائص النفسية والخلقية المنتشرة في المجتمع بكثرة كـ(النفاق والزيف والتظاهر)

ومن أمثلة المشكلات المجتمعية الخطيرة التي سلطت الكاتبة الضوء عليها ورصدتها في قصتها(**شجرة الجميز**)[38]هي قضية الزواج بمشكلاته المختلفة بدءا من الاختيار الخاطئ، والمشاكل التي يحدثها اختلاف بيئات الزوجين، الذي ينجم عنه اختلافات كثيرة في مناحي الحياة كاختلاف في طريقة التفكير وفي أهداف الزوجين وطريقة تعاملهم مع المواقف المختلفة، وهو اختلاف يكاد يعصف بالحياة الزوجية وبمؤسسة الأسرة.

ويتشابك مع هذا الموضوع مشكلات أخرى رصدتها الكاتبة كنظرة المجتمع المتدنية لأبناء الريف في مقابل أبناء المدينة، فيُحتقر الريفي ويحترم ويقدر المدني.

وفي قصة (**أوبرا عايدة**) ناقشت الكاتبة مشكلات الطبقات المهمشة في المجتمع وأحلامهم الضائعة ومحاولاتهم المستميتة للحصول على السكن المدعوم من الدولة، ثم أشارت لنقطة مشتركة في كثير من السرود القصصية -محل الدراسة- ألا وهي الثورات غير المتوقعة لهذه الطبقات وانفجار البراكين (الهادئة/الخاملة)، وهو ما عبرت عنه مرة أخر في قصتها (براكين هادئة).

كما رصدت الكاتبة جانبًا من السمات المجتمعية والأخلاقية في المجتمع وذلك مثل:

-الزيف والنفاق، واختلاف دواخل الإنسان وبواطنه عن خارجه، وتَصنُّع الإنسان للمشاعر والضحكات، وظهوره على غير طبعه لأي سبب، وهذا ما نجده في قصتها (**كنافة بالحليب**)

وأيضًا مشكلة (القهر) ورضا الإنسان به وعدم الثورة على المتسبب في القهر، وتكشف عن تخاذل الإنسان عن الوقوف بجانب الحق أو الحصول عليه ونجد ذلك في (**المسبحة الحمراء**).

وقد غلب على الأنماط التي استوحتها الكاتبة من الواقع الأنماط السلبية أكثر من الإيجابية.

كما لعبت المرأة-كما سبق وأوضحنا-الدور الرئيس، ورغم ذلك فإن معظم موضوعات هذه القصص يشترك فيها كل من المرأة والرجل على السواء، ولكن الكاتبة آثرت عرضها من الزاوية الأقرب لها وهي المرأة، و نفس هذا الأمر نجده مع سرد الرجل.

[38] –شيماء تاج الدين:براكين هادئة: وزارة الثقافة:2017م: ص27

ISSN : 2410-1818

(3/2) (نصف عين نصف ساق) للكاتبة علياء البنهاوي:

ترصد الكاتبة علياء البنهاوي مشكلات الطبقات المهمشة وظروفها المجتمعية والأخطاء التي يقع فيها أبناؤها نتيجة قلة الوعي وقلة الثقافة والأخلاق والآثار الناجمة عن ذلك.

من ذلك ما نجده في قصة(**بنت حرام**) وكذلك في قصة (**عجوز أخضر**) والتي رسمت فيها صورة لصانع السلال وبائعها في نفس الوقت بآلامه وآماله البسيطة.

وكذلك قصة (**مترو**) حيث يتصدر المشهد القصصي فتاة صغيرة تبيع القصص المصورة في محطات المترو راصدة معاناتها وشقائها، كما ترصد ازدواجية المجتمع في التعامل وغلبة الخداع والحيل الرديئة.

ويتبدى لنا أن الغالب على قصصها تصوير أنماط مختلفة من الطبقات المهمشة والنماذج الفقيرة المختلفة والتي تشترك في صفة رئيسة وهي بساطة الحلم وضياعه رغم هذه البساطة.

ولقد نوعت الكاتبة في أبطال سردها بين الرجل والمرأة، الطفل والشيخ.

وجاء هذا الرصد دون تورط الكاتبة في الوعظ المباشر؛ مما يدفع القارئ إلى تكوين اتجاه ما نحو هذه الطبقات قائم على التعاطف، ربما يكون أكثر أثرًا مما لو أتى قائمًا على المباشرة والوعظ.

كما رصدت الكاتبة مشاهدًا تتعلق بالنسق السياسي في المجتمع وكيفية إدارة البلاد، وأحوال ممثلي السلطة وذلك برمزية واضحة، ونجد ذلك على الأخص في قصة (**نيجاتيف**).

(3/3)(فواصل زجاجية ملونة) للكاتبة نوال شلباية:

ترصد نوال شلباية هي الأخرى (قضية الزواج) ولكنها تعرضها من خلال التغيرات الحادثة في المجتمع وفي تفكير المرأة تجاه مؤسسة الزواج ؛ فبعد أن كان الزواج يمثل هدفًا رئيسًا تسعى إليه كل امرأة وهو الهدف المسيطر والغالب على تفكيرها، ظهر تيار من النساء يسعين خلف تحقيق أحلامهن المهنية والعلمية وإثبات ذواتهن بعيدًا عن مؤسسة الزواج وعن حلم فارس الأحلام صاحب الحصان الأبيض الذي يحقق كافة الأحلام، وأصبح كثير من الفتيات ينظرن إلى أن الزواج قد يكون عائقًا لأحلامهن المهنية والعلمية، فيرفضن الزواج نهائيًا أو يؤجلنه لأجل غير معلوم، وهنا يقع الصراع، وتقع المرأة في معادلة صعبة بين الحلم الأنثوي والحلم العلمي والمهني وتحقيق الذات.

تقول بطلة قصة (**معادلة**):" سرت على أوتار عمري أترنم "لم يبق إياي.. لم يبق سواي" رويدًا رويدًا تذكرت حينما كنا حالمات، ندون أحلامنا بأزقة قلوبنا... فكانت تتقافز أمامنا، تسبق أيامنا

ISSN : 2410-1818

وتعاقبت السنون ومضت حقب.. وتخلت كل واحدة منهن عن حلمها.. نسين الأنابيب والبواتق التي صادقنها على مدار خمس سنوات وأخيرًا في معملي أستكمل "حلمي العلمي" الذي سرقني من "حلمي الأنثوي"، كنت أظنني "كوري الثانية" أأضع الشهادات والجوائز التي حصلت عليها في الحسبان، كدت أطير فرحا عند كل جائزة أو عندما أهتدي لاكتشاف جديد -لكنني لم أكن أبدا بهذه السعادة التي تطلعت إليها بوجه زميلتي العروس، حتى إن وجهها الشاحب أصبح أكثر نضارة. توهجت بداخلي غيرة لم أعلم مكنونها، من ذي قبل لم أغبط عروسا كائنة من كانت.. ولم تحرك في ساكنا، فكيف الآن يزلزلني عرسها"[39]

وهذا التيار من النساء لم يكن وليد هذا العصر بل هو ممتد من فترات سابقة ولكنه كان نادرا ومتمركزًا في طبقات بعينها، أما الآن فقد أصبح منتشرًا ومتغلغلًا في كل الطبقات. وهذا تغير رئيس في أنساق المجتمع وقيمه ورؤاه وموقفه من الحياة يحتاج للكثير من الدراسات النفسية والاجتماعية.

وفي نفس هذا الإطار تعرض نموذجًا آخر لفتاة متميزة علميًا ومهنيًا، وهي الأخرى ترفض الزواج ولكنها تتعرض لمشكلات أخرى باتت متغلغلة في المجتمع ألا وهي الحكم على المرأة من خلال شكلها أومن خلال حجمها، ورصدت ببراعة في قصتها (الميزان) الأثر النفسي الناجم عن هذا الأمر. ومن المقاطع السردية التي تؤكد هذا: "ولقد كنت أدرك رأيها في هذا الموضوع، فما إن سنحت الفرصة ودعت إحدانا "اللهم ارزقنا الزوج الصالح" أو رأينا زوجًا وغبطت إحدانا زوجته.. أسرعت هي: يا لكن من أغبياء!! تظنن أن مع الرجل سعادة أو أمان.. أو معه ستصلن لغاياتكن فتحققن أحلامكن.. أو لم تلاحظن أننا تفوقن لعدم وجودهم. ومن فكرت فيهن تخاذلت، ومن تزوجت ذهبت إلى حيث لا رجعة. كم واحدة معنا سجلت؟ أو حتى معها موضوع يصلح للتسجيل؟! أو حتى في عقلها فكرة تصلح لأن تناقش مناقشة علمية؟ سوى فكرة جديدة لعمل صينية بطاطس أو طريقة مبتكرة للدجاج الذي سئمت منه مسلوقا.... "[40]

وفي مقطع آخر تقول:" حدقت.. والدموع تطفر من مقلتيها في عارضات الأزياء على اللابتوب. راعتني دموعها لكنني تجاهلتها خاصة عندما أدركت أنها تحاول أن تخفيها عني.. استطردت كل ما حلمت به هو أن أرتدي مثلهن ولو ليوم واحد فقط دون أن أتبرم من نظرات الآخرين التي تعصف بي فألقي بنفسي في أول تاكسي لأختبئ فيه، فوزني وحجمي لا يسمحان لي بغير ذلك. ولأعصم نفسي

[39] –نوال شلباية:فواصل زجاجية ملونة:الهيئة العامة لقصور الثقافة (2015):ص16

[40] –نفسه:ص22

ISSN : 2410-1818

من تلك النظرات التي تمزقني إربًا لم يشعر بي مخلوق فسائق التاكسي حين يرفض أن يقلني بسيارته أدرك أنه يخشى عليها مني، وإذا تمازح اثنان أوقن أنهما يتغامزان علي وإذا نادتني زميلة لي بشيء يصف بدانتي فإنها تقتلني دون أن تدري، ودون أن أنبث ببنت شفة أنسل إلى حيث لا أحد"[41]

وهنا يظهر الصراع الذي يُنازع المرأة في هذا الجيل، فما بين أحلامها في التعليم والعمل وإثبات الذات، ورغبتها في تحقيق حلمها الأنثوي، وحلم كل امرأة في أن تصبح زوجة وأم. ولكن الكاتبة تلتقط الرؤية من زاوية من حققت ذاتها العملي والعلمي فقط، حيث تظل تغبط الأخريات اللواتي حققن حلمهن الأنثوي، ولكنها لو التقطت كلا المشهدين وعرضت للرؤيتين؛ لوجدت الأخرى أيضًا تعيش نفس هذه الحيرة ونفس هذا الصراع وتقع فريسة لغيرتها من غيرها. ليبقى هذا الصراع أبديًا يُمزق المرأة ويفتتها.

41 –نفسه:صـ23

ISSN : 2410-1818

الخاتمة:

في ختام بحثنا هذا نجد أن هناك نقاطًا مشتركة وملمحًا عامًا يسود القصص القصيرة والقصيرة جدا -محل الدراسة- فقد تجلت فيها قضايا المجتمع، فظهرت أبرز القضايا والمشكلات المسيطرة على المجتمع المصري في هذه الآونة، كما رصدت التغيرات المتعددة في أنساق المجتمع بأنواعها، كتغير القيم والأخلاق في المجتمع وتبدل الأولويات، فرصدت العديد من القصص مشكلات الزيف والنفاق وسيطرة الشكل والمظاهر وإحلالها بديلا عن الجوهر.

كما رصدت مشكلات الفرد وأزماته وشعوره بالاغتراب وسط هذا المجتمع المتشرذم، الاغتراب الذي أضحى يشعر به الإنسان في كل مكان حتى في بيته.

إضافة إلى تعبير هذه القصص عن الأنساق السياسية بمحاورها المختلفة كغياب الحريات والعلاقة بين الحاكم والمحكوم والثورات والازدواجية في المعايير وغيرها الكثير من الإشكاليات التي تمس النسق السياسي وتتشابك مع الخلقي والمجتمعي والاقتصادي.

وقد انعكست هذه الموضوعات بما تحمله من تناقضات مختلفة على بنية القصص في الغالب وعلى بنية النصوص السردية، فنجد أن الكتاب لجأوا إلى المفارقة في تصوير المواقف وإلى الترميز واستخدام الحيوانات كرموز تعبر عن البشر ويكثر الإيهام والترميز خاصة عندما تكون المشكلات سياسية، وذاك في حد ذاته تأثير مجتمعي على الأدب، ففي مجتمع يعيش حالة شاملة من غياب الحريات ومن الانقسامات ومحاولات الاستقطاب الفكري و التخوين لكل من يختلف مع الآخر في أي رأي وتصنيف البشر لفئات، في هذه الحالة يقع الكاتب في حيرة من أمره إما ينعزل عن المجتمع ويكتب دون أن ينشر كتاباته خوفا من بطش المجتمع قبل السلطة وإما يعبر عن رأيه بكل وضوح وحينها يتحمل الكثير من العواقب، وإما يلجأ إلى الحل الثالث وهو محاولة لصنع لغة "دبلوماسية فيها كل خصائص اللغة الرمزية الحافلة بالإيحاءات والإشارات التي لا تكاد تفصح أو تبين عن آرائه الحقيقية"[42] وهذا ما لمسناه بقوة في كل المجموعات القصصية محل الدراسة. في حين تقل الرمزية في الأمور التي يتسامح فيها المجتمع، أو التي يسمح فيها برؤى مختلفة.

وهذا يؤكد لنا أن شكل العمل الأدبي يعكس شكل العالم الحقيقي، لا يعكس الأدب الواقع مثلما تعكس المرآة الأشياء الموضوعة أمامها، وإنما الأدب معرفة بالواقع، والمعرفة ليست مسألة إيجاد تطابقات أحادية بين الأشياء في العالم الخارجي والأفكار في الرأس، الواقع موجود فعليا هناك في

[42] –السيد ياسين:التحليل الاجتماعي للأدب:ص218

ISSN : 2410-1818

الخارج قبل أن نمتلك معرفته في رؤوسنا ، ، هكذا قال لوكاتش بينما قال غولدمان إن "العلاقة بين المعطى الأدبي والمعطى الاجتماعي علاقة تتميز بالتناظر والتماثل- حيث إن الأدب باعتباره بنية صغرى يناظر بنية كبرى وهي بنية المجتمع "[43]

وبذلك فإن كل إنتاج أدبي يمثل بنية صغرى قائمة بذاتها تحيلنا على المجتمع الخارجي وتمثل صورة للعالم الحقيقي كما أنها تمثل تصويرًا للأيديولوجيا وإخراجًا مسرحيًا لها كما يصفها بيير ماشري، وعلى هذا فإن كل إنتاج أدبي له خصوصية ينفرد به عن غيره إضافة إلى اشتراكه في نقاط عامة يلتقي به مع نظرائه، وهذه النقاط العامة قد تختلف من مرحلة فنية وأدبية إلى مرحلة أخرى وقد تتطور بعض سماته من مرحلة لأخرى. ومن مهام النقد الرئيسة تتبع هذه الخصائص سواء العامة منها أو التي يختص بها كل إنتاج أدبي على حدة، ودراستها حتى نصل إلى منابعها ودقائقها، وهذا ما حاولناه في هذا البحث.

[43] – د/مصطفى العمراني:مناهج الدراسات السردية واشكالية التلقي"روايات غسان كنفاني نموذجاً":عالم الكتب الحديث" الأردن":الطبعة الأولى (2011):ص14

ISSN : 2410-1818

قائمة المصادر والمراجع

أولًا /المصادر:

- أحمد حلمي الزرد :*شموس لاتعرف المغيب*:جذور:2017
- شيماء تاج الدين:براكين هادئة:وزارة الثقافة:2017م
- علاء الدين محمد صديق :*نزف منفرد* ، مكتبة بستان المعرفة: 2007م.
- علياء البنهاوي: *نصف عين نصف ساق:وزارة الثقافة: 2015م*.
- نوال شلباية: *فواصل زجاجية ملونة* ، الهيئة العامة لقصور الثقافة: 2015.

ثانيًا/ المراجع العربية:

- السيد ياسين :التحليل الاجتماعي للأدب، مكتبة مدبولي.
- الطاهر أحمد مكي:القصة القصيرة -دراسة ومختارات: دار المعارف: الطبعة الثامنة (1999م)
- عباس خضر:القصة القصيرة في مصر: منذ نشأتها حتى سنة 1930 ، مكتبة الأسرة 2010.
- عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي: الطبعة الثانية، 2015م.
- عبد الحق بلعابد :عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، الدر العربية للعلوم ناشرون: الطبعة الأولى 2008.
- عبد المالك أشهبون :عتبات الكتابة في الرواية العربية، دار الحوار: سورية (اللاذقية): الطبعة الأولى 2009.
- محمد غنيمي هلال :الأدب المقارن، نهضة مصر: د. ت.
- مصطفى العمراني :مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي "روايات غسان كنفاني نموذجًا " عالم الكتب الحديث (الأردن): الطبعة الأولى(2011)

ISSN : 2410-1818

ثالثًا / المراجع المترجمة:

- بيرنار فاليط :النص الروائي تقنيات ومناهج، ترجمة د/ رشيد بنحدو، منشورات(1984)
- بيير زيما :النقد الاجتماعي-نحو علم اجتماع للنص الأدبي: ترجمة عايدة لطفي:دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع: الطبعة الأولى:1991م
- دبرا بارسونز :رواد نظرية الرواية الحديثة، ترجمة أحمد الشيمي، الطبعة الأولى (2016م).

رابعًا / الرسائل العلمية:

- رشا ناصر على: الأبعاد الثقافية للسرديات النسوية المُعاصرة في الوطن العربي (1990 - 2005) رسالة دكتوراه: إشراف أ. د. / محمد عبد المطلب، كلية الآداب بجامعة عين شمس، 2009م.

خامسًا / الصحف والمجلات:

- حوار مع رضوى عاشور :جريدة الشرق الأوسط، 2004/3/20م (ع9244)

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلـــس للعلـــوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـــم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيـــم الدولـــي الورقـــي :ISSN :2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـــة مفهرســـة فـــي المواقـــع الآتيـــة :

العام	2020	2021	2022	2023	2024
معامل أرسيف	0.0366	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068
معامل التأثير العربي	1.60	1.60	1.73	1.25	1.55